

سلسلةُ : وُصُولُ التَّهَانِي بِتَفْرِیحِ أَشْرَطَةِ الشَّيْخِ مُحَمَّدِ بْنِ هَادِي (2)

محاضرةٌ بعنوان

" رِسَالَةٌ إِلَى طَالِبِ الْعِلْمِ فِي بَيَانِ مَرَاتِبِ الْعِلْمِ وَالْعَمَلِ بِالْقَوَاعِدِ "

للشيخ /

محمد بن هادي المدخلي

- حفظه الله تعالى -

المُدْرَسُ فِي الْجَامِعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ

بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ

أُقِيمَتْ فِي مَسْجِدِ بَدْرِي الْعَتَيْبِيِّ - رَحِمَهُ اللَّهُ -

بِالْمَدِينَةِ النَّبَوِيَّةِ

(الثلاثاء 16 ربيع الآخر 1439هـ)

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمد لله ، نحمده ، ونستعينه ، ونستغفره ، وتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله ، وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأتباعه بإحسان إلى يوم الدين ، أما بعد .

فيا معشر الإخوة الكرام ، يا معشر طلبة العلم ، إن مراتب العلم ثلاثٌ ، المرتبة الأولى : مرتبة علم اليقين ، وعلم اليقين هذه تقوم على أخبار الثقات الصادقين ؛ الضابطين الذين تتوفر فيهم شروط القبول ، عدالة وضبطاً ، فالعدالة في الدين : استقامة الدين والمروءة .

والضبط : أن يكون ضابط ، ومؤتمن في ثقله ، فإذا جاء ضبطه مع أمانته في النقل فهذه الأخبار التي تأتي من طرق هؤلاء هي التي تفيد العلم ، قسم الضبط وقسم العدالة ، فالعدالة شيءٌ ، والضبط شيءٌ ، وقد يكون حافظاً ضابطاً لكنه كذاب ، فلا ينفعه ذلك ، وقد يكون صادقاً أميناً لكن في حفظه شيءٌ فيقبل منه ، وقد يكون ضعيف الحفظ ، فينظرُ به حتى يأتي ما يجبره ، فيقبل أيضاً حديثه إذا انجبر بجابر على ما بينه أهل العلم في هذا .

والحاصل أن علم اليقين : ما قام على الأخبار الصحيحة الثابتة المقبولة ، فهذا هو علم اليقين .

المرتبة الثانية : عين اليقين ؛ ما تراه أنت بعينيك من المخبر عنه ، أو ما نقل إليك من الأشياء ، ثم رأيتها أنت بنفسك بعينيك ، فهذا عين اليقين ، لا تشكُّ في وجوده ، كما أن المرتبة التي قبل هي علم اليقين لا تشكُّ في ثبوته ، فإذا عاينته لم تشكُّ في وجوده ، فإذا حصلت المرتبة الثالثة ، فهي أعلى المراتب .

حقُّ اليقين : وهي أن تعاني الشيء أنت بنفسك .

ويضربون له مثلاً قديم ، وقيسوا عليه أتم ، فالأول كأن يخبرك العدل الصادق بأن أمامك في الطريق نهر ؛ وصفه كيت وكيت وكيت ، فأنت تصدِّقه ، وتوقن بأن في الطريق التي أنت تسير فيها نهر ولا لا ؟ تصدِّقه ولا لا ؟ طيب ، فإذا

على الرأس والعين والرحب والسعة وحباً وكرامة، جاء الجرح مفسّر، قالوا لا، يحتاج إلى تفسير، طيب كيف؟

أحمق يحتاج تفسير!

وشر يحتاج تفسير!

وكذاب يحتاج تفسير!

وخذ من هذا القبيل، فأنا ما أدري بأي لغة يتكلم المتكلم؟

بالأمس هم يقولون أحمق، ويقولون هذا جرح مفسّر، اليوم أحمقنا ما هو مفسّر، فباؤهم تجر، وبائنا لا تجر، تمام؟ طيب، لا بد من التفسير.

جاء الجرح هكذا، كذاب، أحمق، شر، قل ما شئت، قالوا هذا ما هو مفسّر!

طيب، خلاص يقابل بالتعديل! قالوا هناك لا بد من التفسير، جاء هنا التفسير،

ما هو الحمق؟ ما هو الكذب؟ حتى الكذب يا ناس يحتاج إلى تفسير؟!

صوتياتهم موجودة بمثل هذا الكلام، هكذا يقولون، كذاب يا ناس يحتاج إلى تفسير؟!

إيش معنى كذاب؟ مسجّل هذا الكلام، مسجّل منهم هم، الآن يحتاج كذاب إلى تفسير!!

أحمق مسجّل منهم هم، الآن يحتاج إلى أحمق لأنه صدر منا إلى تفسير!

ما أدري إيش أحمق عندهم وإيش أحمق؟

إذا كنا نتحدث بلغة عربية واحدة فأحمق في القواميس واحد، وإذا أنت تتحدث بلغة عربية واحدة كذاب في القواميس

واحد، تمام؟ ماشي، قالوا: لا، هذا ما هو، طيب، بعدين، قيل لهم هذا مفسّر ما استطاعوا؛ لأن العقلاء يعرفون

أنه إيش؟ ذهبوا يقابلون حينئذٍ الجرح المفسّر بالتعديل، وهذا خلاف ما أطبق عليه علماء الفن، فَعُلم أن الدعوى

هوى، عُلِم أن الدعوى هوى، ما هي تطبيق للعلم، ولا لقواعد العلم.

فعلى طلبة العلم أن يعرفوا ويضبطوا، فإذا ضبطوا القواعد حاكمونا جميعاً إليها، الله أكبر، الآن نحن نقول قول مالك

ضعيف ، والراجح قول الشافعي ، قول الشافعي ضعيف والراجح قول أحمد ، وقول الجمهور ضعيف ، والراجح قول الشافعي ، وقول الشافعي وأحمد هنا مثلاً ضعيف ، والراجح قول مالك ، أو أبو حنيفة وهكذا ، ما شاء الله الشجاعة برزت حتى مع الأئمة هؤلاء الجبال ، الذين تبعتهم أمة الإسلام ، وفي الجملة ما خرجت عن أقوالهم ، وما في حكم بين فلان وفلان ، فبين الشجاعة ؟ وفين العلم ؟ وفين قواعد العلم ؟

حينئذٍ تعرفون - معشر الأحبة - أن العلم هذا محله ، وهنا يظهر الصادق الذي تعلم وطبق ما تعلم ، ويظهر الجاهل الذي لا علم عنده ، ويظهر الأجنبي عن الصناعة ، الذي يردد مثل البيغاء مقلد ، هذا لا كلام عليه ، ويظهر صاحب الهوى ، ومن أعماه هواه فلاحيلة فيه .

فالذي أوصيكم به - معشر الأحبة - وإياي : أن تطبق القواعد العلمية التي أورثناها أئمتنا - رحمهم الله - على الصغير والكبير والجليل والحقير ، فحينئذٍ تنضبط الأمور ، أما إذا كانت المسألة هوىً وانتقام فلن ينضبط لنا شيء ، وإذا كان أيضاً كذلك فالعقلاء وأهل العلم العالمون العارفون المحققون ليسوا بأيدينا أبداً ، لن يمشوا إلا على القواعد ، ولن يُطبّقوا إلا القواعد ، شنأ أم أينا .

فعليك يا طالب العلم ألا تفضح نفسك ، وتُظهر أنك من ذوي الجهل والحماقة ، أو من أهل التقليد والهوى - عياذاً بالله من ذلك - .

أسأل الله - سبحانه وتعالى - أن يثبتنا جميعاً وإياكم على الحق والهدى حتى نلقاه ، كما أسأله سبحانه أن يورثنا علماً نافعاً ، وفقهاً في الدين ، وبصيرةً فيه ، وأسأله - جل في علاه - أن يصرف عني وعنكم وعن سائر إخواننا المسلمين في كل مكان مضلات الفتن ، ما ظهر منها وما بطن ، إن ربنا لسميع الدعاء ، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله ، نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أتباعه بإحسان .